



قصص المأسى لا تنتهي، وآخر ما سمعته منها قصة سيدة لبشت في السجن ثلاثة أشهر وعشراً، فعرفت العذاب المهين والبذاءة في الكلام والوساخة في الإشارات والإيماءات، ورأت من العذاب الشديد، على جسدها الضعيف، مما لا زالت آلامه وأثاره مطبوعة على أنحاء جسدها النحيل.

دخلت السجن وزنها فوق السبعين، فخرجت منه وقد أصبح وزنها ثلاثين، وكان لها شعر طويل ثixin جميل، فجعلوه حبلاً يسحبونها منه صعوباً وهبوطاً على الأدراج، حتى فقدت أكثره من الشد والسحب والسحل وقاربت على الصنع. ومن أفظع البلاء الكهرباء، التي ألتلت الحس من أجزاء من جسمها نهائياً، وتسببت بتليفات دائمة في الأنسجة والجلد؛ ويأتون بسيدة لتجهز المعتقلة للصدمة! وكأنهم يهتمون بالستر ولديهم نخوة! فتثبت الأسانك على طرفي الثديين أو خلف الرأس من الجهتين، ثم يسري التيار فيصعق ويحرق فتسقط الضحية مغمي عليها، ولا تدرى ما فعل بها، لتصحو على شلالات من الماء تلقى فوق جسدها، فترتعش، وترجف من البرد أو من شدة الألم. ويأتون ب رجال أشداد لجلد نساء رقيقات وبأيديهم كابلات مجذولة مختلفة الأحجام والألوان، يختار منها المجرم ما يشاء، ويضرب بها بكل قسوة وعنف وثبات، مما يؤدي إلى كسر اليدين أو الأصابع، أو إصابة العين أو شرخها، وتبقى الضحية مدة لا تستطيع تحريك يدها أو رجلها أبداً، فالأورام والتزف والانتفاخ الكدمات في كل مكان، ولا يوجد من جسمها شبر إلا وفيه ضربة سوط أو جرح أو سحجات. وتعود إلى الزنزانة عاجزة عن الحركة، فإذا أرادت الأكل انحنى فوقه وأكلت بفمها كما تأكل الحيوانات، والطعام قليل وسيء

وتسبح فيه -أحياناً- الصراصير والفئران، وفيه أوساخ ونجاسات.

كانت السيدة تتكلم بما يخطر لها وأنا أسمع، فتطوعت وحدها ونفت تعرضهن للاغتصاب، سوى ما رأته بعينها من مصاب: قالت كنا إذا فتحوا الباب نخاف، ونتكون في طرف الزنزانة خوفاً من الجلد والإيذاء، وكلما دخلوا علينا ضربونا بالسياط، حتى ليصيروا العين أو الأذن بأشد الإصابات، وإن أذني ما تزال تؤلمني من كثرة القرصات والشد والقتل... وذات يوم فتح الباب، ورموا فتاة صغيرة لم تتجاوز السادسة عشرة، ودخل على إثرها أحد المجرمين ممن أعطاه الله بسطة في الجسم وختم على قلبه وعقله فلا يعقل ولا يلين، وببدأ يتحرش بها أمام الجميع، فازداد خوف النساء وانكماشهن.

كلهن تقول نفسني نفسني، وتخشى إن تكلمت أن يصيّبها سوء الحساب، فلما بدت نوايا الشاب وهجم على الفتاة، وصارت تصيح وتستعطّفه، تقدمت سيدة عراقية جريئة، في نخوة وشهامة قل مثيلها، وقالت بحماس: هذه طفلة، دعها وشأنها.

فلم تحظ بجواب. فلما تلهما للجبين، قالت العراقية: خذ مني ما تريده منها وأعرض عنها، لكنه يتقصد الأبكار زيادة في الإزلال.

استعطّفته الفتاة وتوسلت إليه، وقالت: أقبل رجلك واتركني، فمدّها إليها فلما انحنت وأكبت عليها رفسها بقسوة، وتتابع.

قالت له بلهجة صادقة: أقسم بالله لأتینك بوالدي، ودعني في نقاء... ولم يُجد شيء وأصيّبت الفتاة بنزيف حاد والتهابات خطيرة، وتركها حالة نفسية مزرية، تخبط رأسها بالجدران وتبكي وتصيح ياويلتاه... هؤلاء الذين يحكمون البلاد، وأن للناس أن يرحموا السجينات وألا ينظروا إليهن ببريبة أو اتهام، فأكثرهن لم يقترب منهن إنسان في الاعتقال، وقلة تعرضن لاعتداء، وليس تفريطاً وإنما كانت وسيلة من وسائل العذاب (ويتمتعون بسماع توصلاتهن وعوايلهن...)، وكما يعنبن الشاب بالضرب والتنكيل والتشبيح والاعتداء الجنسي، فإنهم يعنبن به البنات، وأحياناً يفعلونها مرة واحدة وينسبونه للشرف ويلصقونه بالعفاف، فيثيروا حفيظة الآباء ليقتلوا بناتهم بأيديهم وأيدي الأقرباء. فلا تكونوا معهم عليهن، وقد آن الآوان لنضع حدًا لظلم المرأة ونحررها من القضايا التي سُلطت عليها.

ونحميها من أن تحمل وحدها عبء جنائية مالها فيها أي ذنب أو خطيئة

المصادر: